# كتاب المسلم

## في عقيدة أهل السنة والجماعة

**تأليف**

**إسماعيل مرسي**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام على خير الآنام والمرسلين؛ عبد الله وخاتم النبيين؛ وصلاة وسلام على آله وصحبه الأطهار الطيبيين؛ وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين؛ ثم أما بعد..

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب تحت راية الإسلام وكلمة التوحيد؛ كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ ووحد صفوفهم بعد فرقة وجاهلية وعصبية ووثنية دامت لقرون وقرون..

ومن قلب الجزيرة العربية انتشر نور الإسلام في كل جنبات المعمورة؛ فسقطت حصون الشرك والأوثان حصن تلو الآخر بأيدي وتحت أقدام الموحدين..

ومن بعد ثلاثة وعشرون عاما من الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه؛ رحل عن دنيا الناس آخر رسول ونبي ومخاطب بالوحي بعد أن ترك للناس أعظم وأقيم معجزة يتركها نبي لمن تبعه؛ ألا وهي معجزة القرآن الكريم..

وقد كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما أشكل عليهم أمر ما أو أردوا حكم الله تعالى في مسألة معينة كانوا يرجعون إلى رسول الله؛ فكان لا يعيش أي خلاف بينهم أكثر من أيام قلائل حتى ينزل الوحي ويحل الإشكال. ويمكن القول أن الأمة الإسلامية كانت في صدر الإسلام ومن لدن رسول الله ومن بعده الخلفاء الأربعة الراشدين وقرن

التابعين وتابعي التابعين الأوائل لم يكن هناك بينهم من كبير خلاف في أصول الدين الإسلامي لا في تطبيقه ولا في فهمه ولا في الإجماع عليه. ولكن لما اتسعت الدولة الإسلامية واختلط المسلمون الحديثو العهد بالإسلام بأتباع الفلاسفة وأتباع المجوس والصابئة والثنوية والمنوية والسمنية من الهنود والفرس وغيرهم ظهر أصحاب البدع والأهواء وقالوا في دين الله بجراءة وجهل؛ وخاضوا بالكلام في دين الله تعالى بعقولهم ومنطقهم وهواهم دون سند صحيح من كتاب أو سنة؛ وخالفوا إجماع الرعيل الأول من صحابة رسول الله وما استقر عليه تابعيهم وتابعي تابعيهم فظهرت الجهمية والمعتزلة والمجسمة والمشبهة والمعطلة والقدرية التي اعتمدوا عليها؛ وتحقق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوئته حين قال والمسلمون في عز وحدتهم وحسن جماعتهم: افترقت اليهود على احدى وسبعون فرقة؛ فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة؛ فاحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار.

وحدد صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى هذه الفرقة الناجية وعرفها لنا بأن قال هي: الجماعة. وحدد في رواية أخرى هذه الفرقة الناجية وتلك الجماعة السالمة؛ فقال: هي ما أنا عليه وأصحابي.

وما تفتأ فتنة تظهر في أمة الإسلام في مكان ما حتى يظهر أسوأ منها في مكان آخر؛ ولكن لله تعالى جنودا في الأرض حملوا الدين على عاتقهم؛ وكانوا أهلا لتلك المسئولية العظيمة فدافعوا عن دين الله تعالى وسنة رسوله ضد كل أهل الأهواء وأصحاب الفكر المنحرف؛ وهم تابعي الجماعة أهل السنة؛ فقد قال رسول الله: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ولايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

في كتابنا الذي بين يديك قارئي الكريم ؛ كتاب المسلم؛ سنتعرف أكثر على عقيدة أهل السنة والجماعة كما فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقدوا وعملوا وأجمعوا عليه؛ سائلين الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى؛ وأن يهدنا الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. اللهم آمين.

# مقدمة

بداية يجب أن نؤكد أن دين الإسلام مبني على أصلين:

**الأول:** أن نعبد الله تعالى لا نشرك به شيء.

**الثاني:** أن نعبد الله تعالى بما شرعه لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم..

وأن نعبد الله تعالى وحده لا شريك له وأن نخلص له في تلك العبادة هو أصل الدين والتوحيد الذي جاءت به كل الرسل؛ وهذا هو نفسه أصل دين الإسلام وركنه الأساسي؛ لقوله تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين. **البينة 5.**

وأن نعبد الله بما شرعه لنا؛ هو الأمر الذي يفرق ويميز أهل السنة والجماعة الناجية عن بقية أهل البدع والأهواء ممن ينتسب إلى الإسلام بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله...

فالله تعالى يقول في محكم كتابه: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم} **المائدة3**..

فالدين كمل وتم بوفاة المبلغ بالوحي صلى الله عليه وسلم؛ وحين مات عليه السلام كان الدين قد بلغ وقد بان بيان لا لبس فيه ولا اختلاط ولا سر؛ فلا سر في دين الإسلام؛ وكذب وأثم من قال في الناس أن لديه علم من دين الله تعالى ليس عند غيره..

وقد ترك لنا رسول الله من بعد رحيله أمرين ما إن تمسكنا بهما فلن نضل من بعده أبدا:

**الأول:** كتاب الله؛ القرآن الكريم؛ المحفوظ في الصدور والمتلو على الألسنة والمكتوب في المصاحف التي بين أيدينا الآن.

**الثاني:** سنتة عليه السلام مما ترك من قول وفعل أو إشارة أو سكوت واعتقاد وتم نقله عنه صلى الله عليه وسلم من جماعة أو أفراد أثبات عدول إلى جماعات أخرى أو أفراد كذلك أثبات وعدول؛ وكل هذا مكتوب وموثق عند أهل الرواية والحديث المشهور عنهم الصدق والأمانة والتثبت في الدين..

لذا فلا يحل لأحد كان أن يفتي أو يقضي ولا أن يعمل في الدين إلا بنص القرآن الكريم أو نص حكم صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إو إجماع متيقن..

والإجماع الحقيقي المتيقن عندنا هو إجماع الصحابة سلام الله عليهم فقط؛ إذ إنه الإجماع الممكن وقوعه عندنا؛ **يقول في هذا ابن حزم الأندلسي في كتابه الإحكام في أصول الأحكام:** قول من قال أن أهل العصر الذي إجماعهم هو الإجماع الذي أمر الله تعالى بإتباعه هم الصحابة رضي الله عنهم فقط؛ فوجدناه صحيحا لبرهانين:

**أحدهما:** أنه لا خلاف فيه من أحد؛ وما اختلف قط مسلمان في أن ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم دون خلاف من أحد منهم إجماعا متيقنا مقطوعا بصحته؛ فإنه إجماع صحيح لا يحل لأحد خلافه.

**الثاني:** أنه قد صح أن الدين قد كمل بقوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم. وإذ قد صح ذلك فقد بطل أن يزداد فيه شيء وصح أنه كمل فقد اتفقنا أنه كله منصوص عليه من عند الله عز وجل؛ وإذا كان هو كذلك فما كان من عند الله تعالى فلا سبيل إلى معرفته إلا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم الذي يأتيه الوحي من عند الله وإلا فمن نسب إلى الله تعالى أمرا لم يأت به عن الله عهد فهو قائل على الله تعالى ما لا علم له به؛ وهذا مقرون بالشرك ووصية إبليس؛ قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون} **الأعراف33**..

فإذن قد صح أنه لا سبيل إلى معرفة ما أراد الله تعالى إلا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولا يكون الدين إلا من عند الله تعالى؛ فالصحابة رضي الله عنهم هم الذين شاهدوا الرسول وسمعوه؛ فإجماعهم على ما أجمعوا عليه هو الإجماع المفترض إتباعه؛ لأنهم نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بلا شك..

ونحن في كتاب المسلم سنشرح كما قلنا عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة حتى يكون بين يدي المسلم منّا كتاب واحد موجز بغير إخلال ولا تطويل؛ ومفصل بغير إسهاب، يحمل عقيدة السلف الصالح عقيدة أهل السنة والجماعة الناجية والتي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليها.

وبالتحقيق وجدنا أن عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة مبنية على ثلاثة أصول أو قواعد أساسية تحتوي على كافة عقائد المسلم:

**العقيدة الأولى:** الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره كلا من عند الله.

**العقيدة الثانية:** سلامة القلوب والألسنة تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**العقيدة الثالثة:** عقيدة الأخلاق والإتباع في العبادات.

والتي سنشرحها ونناقشها حتى يعلم المسلم الموحد أساس وأصل عقيدته؛ والله ولي الذين آمنوا والذين كفروا لا مولى لهم...

# العقيدة الأولى

عقيدة أهل السنة والجماعة هي عقيدة ربانية مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله عليه السلام؛ وذلك وفق ما اعتقد وفهم وعمل به أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أوائل المسلمين وسابقيهم وخيرهم وأزكاهم عند رب العالمين.. فعقيدة هؤلاء على صحيح دين الإسلام الذي ارتضاه لنا رب الناس.. والإنسان المسلم مهما تطور به الزمن وتقدمت به العلوم والتكنولوجيا حتى وإن سكن القمر أو المريخ سيظل له عقيدة واحدة لا بديل له عنها ألا وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأول هذه العقيدة وأعلاها وأعظمها هي عقيدة واحدة؛ من آمن بها جملة واحدة فهو من المؤمنين؛ ومن كفر بها جملة أو تفصيلا فهو من الكافرين..

**ذلك أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والإيمان بالقدر خيره وشره كل من عند الله..**

ودلائل ذلك كثيرة من كتاب الله وسننة رسوله عليه السلام؛ فهذا فحوى دين الإسلام ومنطوقه وأساسه؛ فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله جاء في قوله تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. **البقرة 285.**

وجاء الأمر للموحدين بالإيمان بالله ورسوله وبالقرآن وبالكتب السابقة وبالملائكة والرسل واليوم الآخر بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي نزل من قبل

ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا. **النساء 136**. وجاء من قوله صلى الله عليه وسلم: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.. وقد جاء في ترسيخ هذه العقيدة الأولة الكثير والكثير من الآيات والآحاديث النبوية؛ ففي هذه القاعدة يكمن كل الإيمان بالله؛ ففيها أصله وجذره وحقيقته التي لو أزلت عنها جزء منها لأزلت الإيمان كله من أًصله.

فالإيمان بالله هو الأساس فمن آمن بالله وكفر بالباقي فقد كفر؛ ومن آمن بالباقي وكفر بالله فقد كفر؛ ومن آمن بالله وآمن ببعض الباقي وكفر ببعضه فقد كفر؛ ومن آمن بالله فلا جرم يؤمن بتوابع هذا الإيمان من الملائكة والكتب والرسل والبعث والقدر؛ وهؤلاء ستة أصول لعقيدة المسلم الأولى من أهل السنة والجماعة لابد للإيمان بهم بعض أمور نوضحها بإذن الله تعالى في السطورالقادمة..

# أولا: الإيمان بالله

أعظم الأسرار وأجلها هو الله تعالى؛ حارت فيه عقول البشرية على مر الأزمان؛ ولا جرم في هذا فكيف السبيل إلى معرفة الله تعالى بالعقل المجرد أو المحض؛ فالعقل لا يمكن أن يأتي بما ليس فيه؛ والذي يخصنا ههنا هو الله تعالى من منظور جماعة المسلمين الناجية؛ فرقة أهل السنة والجماعة..

ففي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ الله واحد لا شريك له؛ هو خالق كل شيء؛ وهو الأحق بالعبادة لأنه لا إله إلا هو: ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه. **الأنعام 102**.

فالوجود كله لا يخرج عن اثنين لا ثالث لهما:

**الأول:** هو الخالق.

**والثاني:** هم المخلوقات.

لذا فالله تعالى هو رب العالمين: الله رب العالمين. **المائدة 28**. والعالمين هم كل عالم من العوالم الأرضية والسماوية؛ تقول: عالم الإنس؛ عالم الجن؛ عالم الملائكة؛ عالم الحيوان؛ عالم الطير؛ إلى غير ذلك من الأشياء.. وكل شيء دون الله تعالى حتما ولابد هو مخلوق؛ فلا إله غيره ولا إله معه. وهو الأول قبل كل مخلوق؛ وهو الآخر بعد كل مخلوق؛ قال تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. **الحديد3**.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ليلة حين يأوي إلى الفراش ضمن ما يقول: اللهم أنت الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، والظاهر ليس فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء.

كذلك الله هو الواحد الذي لا شريك له المدبر والمصرف لجميع شئون مخلوقاته فهو الملك وهو المحي وهو المميت وهو الرازق؛ وكل مؤمن يعلم بالضرورة أن الله تعالى أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وأنه تعالى ليس كمثله شيء.

والمأثور في معني اسم الله أنه اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي.

وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد..

والذي عليه إطباق العلماء كالشافعي والأشعري والخطابي وإمام الحرمين والغزالي والرازي؛ وكثير من الأصوليين والفقهاء، وما عليه اختيار الخليل وسيبويه والمازني وابن كيسان أن هذا اللفظ عربي؛ بل وقد جعل بعضهم ذلك في رتبة الذي لا يحتاج إلى برهان؛ واستدل له بعضهم بأدلة لا تسلم من المناقشة.

وقد ذهب كثير من العلماء منهم الشافعي وأبو المعالي والخطابي والغزالي والمفضل والخليل إلى أن هذا اللفظ علم مرتجل موضوع لذاته تعالى؛ وأنه لا أَصل له ولا اشتقاق حتى لقد قال الغزإلي: كل ما ذكر في اشتقاقه وتصريفه تعسف وتكلف؛ وقال تعالى: رب السماوت والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا.مريم65.

**وقد أجمع أهل السنة** على أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وفي سنة نبيه الصحيحة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهم يؤمنون بالله على أنه: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. **الشوري11**.

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه؛ ولا يحرفون الكلم عن مواضعه؛ ولا يلحدون في أسماء الله وصفاته؛ ولا يشابهون بين صفات الله تعالى وصفات خلقه لأن الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل ولا ند ولا ضد ولا مكافيء له سبحانه؛ لذا ستجدهم ملتزمون بالنص الشرعي يدورون معه نفيا وإثباتا لا يحيدون عنه أبدا؛ حيث أنه سبحانه وتعالى هو أعلم بنفسه وبغيره؛ وهو الأصدق قيلا والأحسن حديثا من جميع خلقه؛ ثم أنه لا ينزل وحيه إلا على صادق أمين من عباده؛ لذا كل رسله مصدقين صادقين لذا لا يعدل أهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون.

لذا قال الله تعالى ردا على الممثلة المشبهة الذين شبهوا الخالق بالمخلوقات: ليس كمثله شيء. **الشوري 11**. فنفي عن ذاته المقدسة أي مثيل أو شبيه لذاته.

ورد على المعطلة الذين أرادوا أن ينزهوا الله تعالى الشبيه أو المثيل فغالوا وضلوا وقالوا: إن الله لا يتصف بصفة فلا هو سميع ولا بصير؛ فقال الله تعالى: وهو السميع البصير. **الشوري11**.

فهـؤلاء المعطلـة قـد أنزلـوا الله سـبحانه وتعـالى في فكـرهم إلى مـا دون الأصنام التي ذمها الله وذم من عبدها من دون سبحانه وتعالى فقال: قل هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون. **الشعراء 72-73.**

**والواجب عند أهل السنة والجماعة في باب الصفات والأسماء هو:** أولا النظر في باب الصفات فما أثبته الله ورسوله وأثبتناه وقلنا به، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، وعلى هذا نثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني وننفي عنه ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معني صحيحا قبل لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الضرورة مع قرائن تبين المراد والحالة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك؛ والسلف مجتمعون على أن البشر لا يعلمون لله تعالى حدا؛ وأنهم لا يحدون شيئا من صفاته.

**أوكما قال الإمام أحمد بن حنبل:** لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث. **وقال ابن تيمية:** ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله فيعطلوا أسماءه الحسني وصفاته العلا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته. **وقال:** وذلك أننا ننظر فما وجدنا الرب قد أثبته لنفسه في كتابه أثبتناه، وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه، وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالاثبات أثبت ذلك

اللفظ، وكل لفظ وجد منفيا نفي ذلك اللفظ. وأما الألفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة؛ بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ وسائر أئمة المسلمين لا إثباتها ولا نفيها.

**وقال أبوحنيفة في الفقه الأكبر عن الله تعالى:** له يد ووجه ونفس؛ كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس؛ فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته؛ لأن فيه إبطال للصفة. لكن لا يقال لهذه الصفات أنها أعضاء أو جوارح أو أدوات لأن الله تعالى هو الأحد الصمد لا يتجزأ سبحانه وتعالى والأعضاء فيها معنى التفريق، ولهذا لم يرد ذكرها في النصوص الشرعية الصحيحة فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني وسالمة من الاحتمالات الفاسدة.

**وقال:** لا يشبه شيئا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، وصفات الله كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا.

**وقال نعيم بن حماد:** من شبه الله بشيء من خلقه فقط كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها.

**وقال إسحاق بن راهوية:** من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهم كافر بالله العظيم.

**وقال أبو الحسن الكرجي الشافعي -إمام الحرمين- في كتابه الفصول في الأصول عن الأئمة والفحول إلزاما لذوي البدع والفضول:** ذكر

فيه كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل والبخاري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن مبارك والأوزاعي والليث بن سعد في أصول السنة ما يعرف به اعتقادهم فقال: فلنعتقد أن لله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة، جاء بها كتابه، وأخبر بها الرسول أصحابه فيما روي الثقات وصححه النقاد الأثبات ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها؛ وهي: أن الله تعالى أول لم يزل، وآخر لا يزال؛ أحد قديم، وصمد كريم عليم حليم على عظيم رفيع مجيد وله بطش شديد وهو يبدئ ويعيد، فعال لما يريد، قوي قدير، منيع نصير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. إلى سائر أسمائه وصفاته: من النفس والوجه والعين والقدم واليدين والعلم والنظر والسمع والبصر والإرادة والمشيئة والرضى والغضب والمحبة والضحك والعجب والاستحياء والغيرة والكراهة والسخط والقبض والبسط والقرب والدنو والفوقية والعلو والكلام والسلام والقول والنداء والتجلي واللقاء والنزول والصعود والاستواء وأنه تعالى في السماء وأنه على عرشه بائن من خلقه.

**قلت:** وليس لي اعتراض على كل ما سبق سوي لفظة أن الله تعالى قديم؛ فهذا لا يجوز ولا يليق بالله تعالى أن نسميه بما لم يسمي به نفسه؛

**قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل:** ومما أحدثه أهل الإسلام في أسماء الله عز وجل القديم، وهذا لا يجوز البتة لأنه لم يصح به نص البتة، ولا يجوز أن يسمي الله تعالى بما لم يسمي به نفسه؛ وقد قال تعالى: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. يس39.

فصح أن القديم من صفات المخلوقين فلا يجوز أن يسمي الله تعالى بذلك. وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الزمانية، أي أن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة محصورة وهذا منفي عن الله عز وجل، وقد أغنى الله عز وجل عن هذه التسمية بلفظة أول؛ فهذا هو الاسم الذي لا يشاركه تعالى فيه غيره وهو معني أنه لم يزل، وقد قلنا بالبرهان أن الله تعالى لا يجوز أن يسمى بالاستدلال ولا فرق بين من قال أنه يسمي ربه جسما إثباتا للوجود ونفيا للعدم؛ وبين من سماه قديما إثباتا لأنه لم يزل ونفيا للحدوث لأن كلا اللفظتين لم يأت به نص..

## هل الله تعالى خلق آدم على صورته؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله قد خلق آدم على صورته..الحديث. فظن بعض ضعاف العقل شحيحي العلم أن الله تعالى على صورة آدم؛ والحديث لا يحمل هذا المعنى بحال؛ فكيف نقبل هذا ونحن نردد قوله تعالى: ليس كمثله شيء.؟! وكل ما في الحديث أن الضمير في صورته؛ يعود إلى آدم؛ والمعنى: أن الله تعالى أوجد آدم على الهيئة التي خلقه عليها فلم يتنقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله تعالى على هذه الصورة: رجلا قويا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح. فعلى هذا المعنى قيل على صورة الرحمن والصور كلها لله تعالى هي ملك وخلق له..

**ونص الحديث كاملا هو:** خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا؛ ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر -وهم نفر من الملائكة جلوس- فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله؛ فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن.

وقد قال الألباني رحمه الله عن قوله صلى الله عليه وسلم: إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته.. صحيح؛ ثم قال: يرجع الضمير في قوله على صورته إلى آدم عليه السلام لأنه أقرب

مذكور لأنه مصرح به في رواية آخرى للبخاري عن أبي هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا..

**قلت:** وقد أوّل بعض أهل الكلام قوله صلى الله عليه وسلم: خلق الله آدم على صورته. على معنى أنما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار اجتماع صفات الكمال فيه وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه، وجعل الأمر له والنهي على ذريته كما كان لله كل ذلك..

**وقد رد ابن حزم على من قال بهذا بقوله:** هذا كفر مجرد لا مرية فيه؛ لأنه سوى بين الله عز وجل وآدم في الحياة والعلم والاقتدار

واجتماع صفات الكمال فيهما والله تعالى يقول: ليس كمثله شيء. ثم لم يقنعوا بها حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل؛ ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن سجودهم لله تعالى سجود عبادة ولآدم سجود تحية وإكرام، ومن قال إن الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز وجل فقد أشرك، ثم زاد في الأمر والنهي لآدم على ذريته كما هو لله تعالى وهذا شرك لا خفاء به.

## ثانيا: الإيمان بالملائكة

من ضرورات الإيمان بالله تعالى الإيمان بوجود الملائكة، ومن آمن بالله وكفر بالملائكة فقد كفر: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا. **النساء 136**.

فالملائكة حقيقة كونية مؤكدة؛ ومن أساسيات عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة الإيمان بهم؛ فقد ورد ذكر الملائكة في القرآن الكريم نحو ثمانية وثمانون مرة. وللملائكة دور عظيم في هذا الكون فقد أوكل الله تعالى إليهم إدارة أمور المخلوقات كما سنرى في السطور القادمة بإذن الله تعالى.

ولابد أن نؤكد أولا أن الملائكة كلهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم الله تعالى من مادة النور؛ وكونهم مخلوقين من النور فلا يدل هذا على أنهم في ذواتهم نور؛ فالنور هاهنا هو أصل مادة خلق الملائكة، كما إن أصل الإنسان آدم من تراب وأصول الجان من النار؛ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم.

أما حقيقة مادة أجسادهم فليس من الضروري أن تكون نورا؛ كما أن جسد آدم ليس ترابا، كما ان أجساد الجن ليست نارا، فكل هؤلاء ولابد قد تحول من مادته الأولية إلى مادة الأخرى، نعلمها في الإنسان لحم ودم وعصب وعروق إلخ وتحول فيها الجان والملائكة إلى مادة لا نعلمها فهذا من الأمور الغيبية التي لم يأتي فيها نص منقول..

والملائكة قد نزهها الله تعالى عن كل الشهوات التي تجدها في كل حيوان الأرض؛ كالجوع والعطش والشهوة الجنسية؛ كذلك ستجد أن الله تعالى قد خلقهم دفعة واحدة بقوله تعالى كن فكانوا؛ فليس فيهم من ذكرا أو أنثى؛ كذلك لا تتغوط ولا تتعرق إلى آخر ذلك مما يتعرض له الإنسان في الحياة الدنيا.

والملائكة هم عباد الله المكرمون؛ والمنزهون عن الخطايا والآثام والكذب.. فالواحد منهم لا يتحرك في الكون إلا بأمر الله تعالى وكل حركاتهم عبادة وتنفيذا لأوامره سبحانه وتعالى: لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. **الأنبياء27**. وقال: وما منا إلا له مقام معلوم. **الصافات164**.

**وللملائكة قدرة على الظهور للناس في صورة بشرية:**

فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. **مريم17**. وإتيان جبريل النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة أعرابي، وتارة في صورة دحية الكلبي ومخاطبته وإقراءه إياه كثيرا.

وخلق الملائكة عليهم السلام متقدم على خلق الإنسان بدليل أن الله تعالى قد أخبرهم سلفا بأنه سيخلق الإنسان ويجعله خليفة في الأرض: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. **البقرة30**.

ومسكن الملائكة هو السماء؛ وهم ينزلون منها حسب التوجية الإلهي. فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك. **مريم 64**.

وكما خلق الله تعالى متفاوتون فيما بينهما في الخلق والقدر؛ كذلك الملائكة متفاوتون في الخلق؛ يقول تعالى: الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع. **فاطر1**.

وعن ابن مسعود عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

كذلك هم متفاوتون في القدر فما من ملك إلا وله موضع مخصوص في السماوات ومقام لا يتجاوزه ولا يتعداه.

كما أنهم يصطفون فيسبحون الرب ويقدسونه وينزهونه فهم عبيد له، فقراء إليه، خاضعون له شأنهم في ذلك شأن كافة المخلوقات.

وفي الملائكة ثلاثة رؤساء مقربين أكثر من سواهم، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل؛ قال تعالى: من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عد للكافرين. **البقرة98**.

وفي الحديث: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل.. الحديث.

وكما قلنا فالملائكة هم القائمون بأمور المخلوقات بأمر الله تعالى فهم الموكلون بالسماوات والأرض؛ فكل حركة تحدث في هذا العالم فهي ناشئة عن الملائكة؛ كما قال تعالى: فالمدبرات أمرا. **النازعات5**. وقال تعالى: فالمقسمات أمرا. الذاريات4. فالملائكة تقسم أمر الله في خلقه عند أهل السنة والجماعة الناجية؛ وأما الكافرون فيقولون أن الذي يدبر أمر المخلوقات النجوم؛ وقال غيرهم هم آلهة أو أرباب من دون الله تعالى فقالوا: إله البحر وإله الجبال وإله المطر إلى آخر ذلك مما جاء في

أساطير الأولين من يونان وإغريق وفراعنة وغيرهم من الذين اتخذوا من دون الله أربابا وآلهة.. وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات؛ فجبريل عليه السلام: هو الناموس الذي يأتي الأنبياء بكلام الله تعالى، فهو الموكل بالوحي: نزل به الروح الأمين. **الشعراء193**. وسمي جبريل روحا لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح إلى الرسل من البشر، وهو كذلك رسول كريم مطاع أمين ذو قوة جاء في وصفه: إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. **التكوير19-21**.كذلك في الملائكة من وكل بالجبال؛ فعن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فيها فإذا فيها جبريل؛ فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلان بمكة؛ والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.

**قال ابن تيمية في مجموع فتاويه:** وأمثال هذه الأحاديث الصحاح مما فيها ذكر الملائكة الذين في السماوت وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثير.. **وقال:** الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: أطت السماء وحق لها أن تئط؛ ما فيها من موضع أربع أصابع إلا ملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد.. والأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت..

والملائكة رسل الله في خلقه وأمره وسفراء بينه وبين عباده؛ وهم لكثرتهم يدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

والله عز وجل يكرمهم؛ ويقرن اسمه بإسمهم وصلاته بصلاتهم ويضيفهم إليه في مواضع التشريف ويصفهم بالطهارة والإخلاص كقوله تعالى: هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور. **الأحزاب43**. والملائكة موكلون بكتابة أعمال الإنسان من قول وفعل حتى نيته؛ لأن النية من أفعال القلوب فدخلت في عموم قوله تعالى: يعلمون ما تفعلون. **الانفطار12**.

ومما يشهد لذلك حديث الشيخين أحمد والترمذي: إذا هم بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرة. وعليه فلا يمر أي سلوك إنساني إلا وسجله الملائكة عليهم السلام؛ لقوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. ق**18**.

بل إن الملائكة يشهدون على الإنسان يوم القيامة بما شاهدوه منه من خير أو شر: وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد. ق**21**. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يتعاقبون علىكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد الذين كانوا فيكم فيسألهم ربهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهو يصلون وفارقناهم وهم يصلون.

والملائكة أيضا موكلون بقبض الأرواح بقضاء الله وقدره؛ فيتولي ملك الموت قبضها واستخراجها، ثم من بعده يتولاها ملائكة الرحمة أو العذاب وهم أعوانه: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم. **السجدة 11**.

وكذلك الملائكة منهم المتصرفون في أمور بني آدم، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات؛ فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

والملائكة الطوافة لا تدخل بيتا فيه صورة أو كلب: ففي الصحيحين عن عائشة قالت: حشوت للنبي صلى الله عليه وسلم وسادة فيها تماثيل، كأنها نمرقة؛ فجاء فقام وجعل يتغير وجهه فقلت: مالنا يارسول الله؟ قال: ما بال هذه الوسادة؟ قالت: وسادة جعلتها لتضجع عليها. قال: أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة؛ إن من صنع الصور يعذب يوم القيامة يقال: أحيوا ما خلقتم.

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: سمعت أبا طلحة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ثماثيل.

وقلنا الملائكة الطوافة لأن هناك من أصناف الملائكة من لا يفارق الإنسان في طاعة أو معصية كالملائكة الكتبة مثلا..

## والسؤال: هل الملائكة أفضل من البشر؟

**والإجابة:** أن هذا سؤال من باب الفضول العلمي؛ إذ أن علمه أو جهله لن ينفع أو يضر؛ وعلى العموم فقد رأى بعض العلماء أن البشر عموما أفضل من عموم الملائكة، ويرى بعض أهل السنة تفضيل الأنبياء وصالحي البشر فقط على الملائكة، ويرى آخرون أن مجموع الملائكة أفضل من عموم البشر؛ مثل الإمام ابن حزم الأندلسي. وينسب إلى الشيعة تفضيل أئمتهم على جميع الملائكة.

**والذي نراه وبالله التوفيق:** أن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين فقط. فلسنا مكلفين بأن نعتقد أي الفريقين أفضل. وإلا بينه الكتاب والسنة مثلما جاء في تفضيل بعض الأنبياء والرسل على بعض كما في قوله تعالى: ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض. **الإسراء55.**

وكقوله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. **البقرة 253.**

وكل ما نريد الإشارة إليه في هذه المسألة هو التأكيد على أن الملائكة خلق عظيم من خلق الله تعالى فلا يجوز أن يتعرض لهم مؤمن بسب أو إهانة

كما في قول القائل: الملائكة خدم البشر في الجنة.. أو أن جبريل كان يخدم الأنبياء.. أو أن بعض الملائكة يخدمون بني آدم كالملائكة الكتبة والملائكة الحفظة. إلى آخر ذلك من الألفاظ والأفكار المخالفة للشرع والمجانبة للأدب، والتي ليست من ألفاظ ولا من أفكار أهل السنة والجماعة..

## هل من الممكن أن تعصي الملائكة؟

نص الله عز وجل أن الملائكة متعبدون؛ فقال الله تعالى إنهم مأمورون ومنهيون متوعدون مكرمون موعودون بإيصال الكرامة أبدا؛ مصرفون في كتابة الأعمال وقبض الأرواح وأداء الرسالة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الأعلى والأدنى وغير ذلك..

وقوله تعالى: إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع في السماوات أمين هنالك؛ فصح أن هنالك أوامر وتدبير وأمانات وطاعة ومراتب؛ ونص الله تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله: عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمرهم يعملون. **الأنبياء26-27**. وبقوله تعالى: إن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون. **فصلت38.** فنص الله تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا ولا يستحسرون من ذلك، وهذا خبر على التأبيد لا يستحيل أبدا، ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك. ونص الله تعالى على أنهم كلهم

معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى: قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدي وبشري للمؤمنين. **البقرة97**. فكفر سبحانه وتعالى من عادى أحد منهم.

فإن قال قائل: كيف لا يعصون والله تعالى يقول: ومن يقل منهم أني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم. **الأنبياء 29**.

قلنا: نعم هم متوعدون على المعاصي كما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول له ربه عز وجل: لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. **الزمر65**. وقد علم عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يشرك بربه أبدا، وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبدا أني إله من دون الله. ولكن الله تعالى يقول ما يشاء ويشرع ما يشاء ويفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

## ثالثا: كتب الله

كذلك من ضرورات الإيمان بالله تعالى الإيمان بما أنزل الله تعالى على الناس من كتب فيها من كلام الله تعالى وهديه وأمره ونهيه فهي الكتب الحاملة لشريعته ومنهاجه الذي ارتضاه لسكان الأرض المكلفين..

قال الله تعالى: والذين يؤمنون بما أنزل إلىك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. البقرة4. فمن آمن بالله تعالى وبملائكته وكفر بكتبه التي أنزلها على عباده فقد كفر..

وكتب الله تعالى التي أنزلها على عباده الأنبياء ليبلغوها بدورهم إلى من أرسلهم الله إليهم من البشر لا يوجد لدينا حصر لها ولا يوجد لدي أحد مثل هذا الحصر؛ فهذه الكتب نعلم منها القليل ونجهل منها الكثير؛ فنحن نعلم من الكتب التي أنزلها الله تعالى: صحف إبراهيم؛ وزبور داود؛ وتوراة موسى، وإنجيل عيسى؛ وقرآن محمد صلوات ربي وسلامه على كل نبي ومرسل..

ومن ضرورات الإيمان بالله تعالى وبكتبه المنزلة الإيمان بأن الله تعالى يتكلم إذا شاء؛ ومتى شاء؛ وعلى وجه يليق بذاته التي لا مثيل لها؛ فأصل الكتب أنها كلام الله تعالى إلى الناس؛ بلغها بالوحي إلى أنبيائه المصطفين من البشر؛ ليبلغونها بدورهم إلى المطلوب تبليغه؛ ومن أنكر أن الله تعالى يتكلم بما يشاء متى يشاء وينزله على من يشاء من عباده فقد خرج عن جماعة المسلمين غير مأسوف عليه..

# القرآن كلام الله غير مخلوق

لا يمكن أن ينسى أحدنا الأزمة الفقهية العظيمة التي عذب فيها واضهد من أجلها أئمة عظام من أئمتنا منهم الإمام أحمد بن حنبل عندما كان الخليفة وقتها قد قرب إليه جماعة من المتكلمة المعتزلة حوله وجعلهم بطانته فاعتنق أفكارهم وفلسفتهم بل وجاهد في إجبار الناس على إعتقاد أفكارهم ومنطقهم؛ وكان مما أبدعوه في الدين هو مسألة خلق القرآن الكريم..

فقالوا أن كلام الله لا يختص بذات الله؛ بل هو مخلوق مثله في ذلك مثل بقية مخلوقات الله.. واستدلوا بقوله تعالى: الله خالق كل شيء. **الزمر62.** قالوا: والقرآن شيء يكون داخلا في عموم قوله: كل.

والغريب بل والمثير للسخرية أن هؤلاء الذين أدخلوا كلام الله تعالى تحت لفظة كل في قوله تعالى: الله خالق كل شيء. هم أنفسهم من أخرجوا أفعال العباد من تحت مضمون تلك الآية الأخيرة؛ فعندهم أن الله لم يخلق أفعال العباد؛ وإنما عندهم أن العباد يخلقون أفعالهم؛ فأخرجوا أفعال العباد من قوله تعالى: الله خالق كل شيء. وأدخلوا كلام الله ضمن ما خلق الله؛ فسبحان الذي يهدي ويضل..

ويكفينا أن نقول أن الدلائل قامت كلها على أن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعاني فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة أن يكون كلام الله تعالى ليس مخلوقا وليس غير الله تعالى-كما قلنا- في العلم سواء بسواء..

وهذا الموضوع بالطبع لم يكن قد أثير يوما لا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين ولا تابعي التابعين..

حتى إن بعضهم قد نفى صفة الكلام عن الله تماما وقالوا لا يعقل أن الله تعالى يتكلم؟! حتى أن بعض المعتزلة قد ذهب لأبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة وقال له: أريد أن تقرأ: وكلم اللهُ موسى تكليما. **النساء164**. بنصب اسم الله ليكون موسى هو المتكلم لا الله. فقال له أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية هكذا؛ فكيف تصنع بقوله تعالى: ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه. **الأعراف 143**. فبهت المعتزلي.. وعادوا لضلالهم وقالوا: بل موسى سمع كلام الله والذي أحدثه في الشجرة.. وهذا كذب وضلال حيث أنه لو سمع موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام في ذلك فضل علينا لأننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره فصح أن لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو أنه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه..

فكل أهل السنة والجماعة الناجية يعلمون أن الله تعالى يتكلم بما شاء على وجه لا ندري فيه كيفية ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، فهو سبحانه وتعالى يتكلم على الوجه الذي يليق به.. والله تعالى يقول: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي.. **الكهف109**. وقال تعالى: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله. **لقمان27**.

وإيماننا بالقرآن الكريم وإقرارنا به وبما فيه هو أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب السماوية الواجب علينا الإيمان بها والإقرار بما فيها؛ لأن كل الكتب التي أنزلها الله تعالى على البشر وفيها كلامه قد حرفت وشوهت أصولها بما يوافق هوى من بدل وحرف؛ لذا فنحن نؤمن مثلا: أن التوراة والإنجيل أنزلا على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ ولكن الناس بدلا فيهما من بعدهما وحرفوا الكلام عن مواضعه أو بعض مواضعه، أما القرآن الكريم فقد توعد الله ذاته بحفظه لذا فنحن نؤمن بكل ما فيه حرف حرف ومن كفر بحرف من حروف القرآن فقد كفر، فما بالك بما أكبر من حرف؟!

# رابعا: رسل الله

من عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه هو الإيمان برسل الله تعالى.. فنحن نصدق بنبوة كل نبي ورسول ذكره الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم في صحيح حديثه.. وأما من لم يذكرهم الله ولا رسوله فطالما ليس تحت أيدينا ما يرد نبوته فنحن نتوقف فيه؛ مصداقا لقوله تعالى: ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك. **النساء164.** أما عن أول الأنبياء فهو آدم أبو البشر.. وآخرهم هو محمد بن الله صلوات ربي وسلامه على كل نبي ورسول..

## عدد الأنبياء والرسل

أما عن عدد الأنبياء فهو مائة وأربعة وعشرون ألف نبي منهم ثلاثمائة وخمسة عشرة رسولا؛ أو كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قلت: يا رسول الله ونبي كان؟ قال: نعم نبي مكلم. قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضع عشر جما غفيرا.

وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا؛ الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا.

## الفرق بين النبي والرسول

ذكر الناس فروقا كثيرة بين النبي والرسول؛ وأحسنها هو أن من أنبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول؛ وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي؛ فكل رسول نبيا وليس كل نبيا رسولا. فالرسالة أعم من النبوة والنبوة جزء من الرسالة..

## سبب إرسال الأنبياء والرسل

الأصل أن الإنسان منذ أن هبط أبويه آدم وحواء على تلك الأرض التي نحيا عليها كان مؤمنا بإله واحد ورب واحد؛ وظل على هذا الحال حين من الدهر حتى دخل عليهم الشيطان الرجيم وغرر بهم واتبعه الناس عن جهل فأنساهم الشيطان ذكر ربهم ثم جعلهم يشركون بالله مما لم ينزل به من سلطان؛ ثم جعلهم يعبدون مع الله مخلوقاته السماوية والأرضية ثم جعلهم يعبدون من دون الله أصناما وحيوانا وحتى الحشرات وقوى الطبيعة عبدها الإنسان من دون الواحد الأحد..

وكلما خاف الإنسان شيئا أو أحب شيئا جعله الشيطان بوسوساته وتزيينه يعبده من دون الله؛ وهذا بالطبع تبديل للفطرة السوية وتبديل للعهد والشهادة ولولا رحمة الله سبحانه وتعالى لأهلك كل البشر بهذا الذنب العظيم، ذنب الشرك والكفر؛ ولكنه تعالى قال: عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء. **الأعراف 156**. لذا قدر الله تعالى أن يرسل الرسل والأنبياء من البشر إلى البشر ليهدوهم إلى صراط الله

المستقيم مبشرين من آمن ومنذرين من كفر : وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين. **الأنعام 48.**

كذلك أرسل الله تعالى رسله وأنبيائه إلى الناس تترا كي لا يكون للناس على الله حجة أو معذرة يوم يحاسبهم يوم القيامة أو كما قال تعالى: رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. **النساء 165.**

## محمد خاتم النبيين والمرسلين

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي هو آخر النبيين والمرسلين؛ فقد قال تعالى: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. **الأحزاب40.**

فعندما قال الله تعالى خاتم النبيين فقد حكم أنه آخر المرسلين؛ لأنه كما قلنا في سطور قليلة سابقة أنه لا رسول إلا نبي؛ فمن لم يكن نبيا فقطعا هو ليس برسول.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.

وأهل السنة يعتقدون كذلك أن عيسى عليه الصلاة والسلام سيعود؛ وأنه سيقتل المسيح الدجال؛ وأنه سيكسر الصلب ويذبح الخنزير ويحكم الناس بالشريعة الإسلامية المحمدية؛ فهي الشريعة الناسخة لكل الشرائع السابقة ولا شريعة بعدها..

# عصمة الأنبياء

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأنبياء لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة.. وأنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد؛ ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه تعالى فيوافق خلاف مراد الله تعالى..

إلا إن الله تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أبدا بل ينبههم وقد يؤنبهم على ذلك. كما فعل الله تعالى مع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في أمر أم المؤمنين زينب وطلاق زيد لها، وفي قصة ابن أم مكتوم..

أما أن يظن ظان أن النبي قد تقع منه كبيرة أو أن تقع منه الصغيرة ولكن بعمد فهو جاهل مخطأ منحرف عن أًصول وعقيدة أهل السنة والجماعة..

ومثال خطأ الأنبياء سنضرب له مثلا قضية أساري بدر؛ حيث أن بدر كانت أول حرب يخوضها المسلمين ويأسرون بعدها أسرى. ولم يكن هناك تشريع سابق في الأمر يدلهم كيف يفعلون مع هؤلاء الأسرى؛ فاجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهاد القائد البشري لا النبي واستشار أصحابه في الأمر فانقسم الصحابة إلى فريقين:

الأول: فريق الصديق؛ وهم الغالبية العظمى من المسلمين والصديق كما هو معروف عنه رقيق القلب ورحيم؛ فآثر عدم قتل الأسرى لأن لهم أقارب بين المسلمين.

والثاني: فريق الفاروق وهو كما يعرف عنه حازم شديد في دين الله؛ فآثر قتل الأسرى ليعلم الكفار أن المسلمين لا يتهاونون في دين الله تعالى حتى مع أقرب الأقربين طالما كافرين بالله ورسوله؛ ولأن الرسول هو رحمة للعالمين؛ مال إلى رأي الصديق؛ فأنزل الله تعالى الحكم الإلهي في تلك المسألة موافقا لرأي عمر. والرسول كما قلنا هنا فقد اجتهد اجتهادا بشريا وكل اجتهاد بشري قد يخطأ وقد يصيب وكما قلنا وأكدنا أن الله تعالى لا يقر نبي ولا غبي على خطأ وبالفعل حق الله الحق بكلماته.

## نبوة النساء

كان ابن حزم يقول بنبوة النساء؛ وهو ما أنكره الكثيرون وقالوا بتبديع قائله؛ فيقول ابن حزم وهو يدافع عن مذهبه متعجبا في كتابه الفصل في الملل: هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع فيه إلا عندنا بقرطبة وفي زماننا.. ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلا إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم. **الأنبياء 7.**

**يقول ابن حزم:** وهذا أمر لا ينازعون فيه، ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة!.. ويحتكم ابن حزم في فض هذا النزاع لأحكام اللغة العربية التي خاطبنا الله بها؛ فيقول: وجدنا لفظة الأنبياء مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام؛ فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحي إليه منبئا بأمر ما؛ فهو نبي بلا شك؛ وليس هذا من باب الإلهام الذي هو طبيعة؛ كقول الله تعالى: وأوحى ربك

إلى النحل. **النحل 68.** ولا من باب الظن والتوهم الذي يقطع بحقيقته إلا مجنـون، ولا مـن بـاب الكهانـة التي هي اسـتراق الشـياطين السـمع مـن السـماء فيرمـون بالشـهب الثواقـب؛ وفيـه يقـول الله عـز وجـل: شـياطين الإنس والجـن يـوحي بعضهم إلى بعض زخرف القـول غـرورا. **الأنعام 112.** وقد انقطعت الكهانة بمجيئ رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وعلى هـذا الأسـاس قـال ابـن حـزم بنبـوة بعـض النسـاء كسـارة أم اسحق عليهما السلام؛ فقد نبأها الله تعالى بواسطة الملائكة بأنها ستلد اسحق وأن اسحق سيعيش ويكبر ويتزوج وسيرزق بيعقـوب؛ رغم أنها كانت في هذا الوقت عجوزا عقيما. فكان هذا لها بمثابة إنباء بخبر ما يكون قبل أن يكون؛ ويؤكد ابن حزم أن هذا ما هو إلا وحيا؛ فكانت أم اسحق في حكم اللغة العربية نبية.

وكـذلك مـا حـدث مـع مـريم أم المسـيح عليهمـا السـلام؛ فقـد جاءهـا الناموس –جبريل- وأوحى إليها بكلمات ربها وصدقت بها فكان هذا وحيا إليها فاستحقت بهذا لفظ النبية في حكم اللغة أيضا.

كذلك ما حدث مع أم موسى عليهما السلام من إيحاءه إليها بوضع ابنها في تابوت وإلقائه في اليم، وأخبرها أنه عائد إليها مرة أخرى وأنه سيكون نبيا رسولا؛ فكانت في حكم اللغة أيضا نبية موحى إليها.

ونحن نتفق فيما ذهب إليه ابن حزم؛ بكون وجود نساء نبئن بخبر ما كان قبل أن يكون؛ عن طريق الوحي كالأنبياء؛ هذا في حكم اللغة؛ أما من ناحيـة حكـم الشـرع؛ فنؤكـد أن كل مـن ذكـر الله تعـالى أو رسـوله عليـه

الصلاة والسلام أنه نبيا؛ فهو نبي، ومن ذكر أنه رسولا؛ فهو نبيا رسولا.
وأن من ذكر فيه خلة أو صفة فهي فيه على الحقيقة؛ ولم يذكر الله تعالى بجانب اسم امرأة أنها كانت نبية؛ فدل هذا على خلو الشريعة من نبيات من النساء؛ وغاية ما وجدنا أن مريم صديقة، وأنه لم يكمل منهن إلا أربعة هن أفضل نساء العالمين؛ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.
كذلك النبي هو غالبا ما يكون مكلفا بتبليغ كلام الله إلى الناس؛ ولم يثبت هذا في حق أي من هؤلاء النسوة المباركات سلام الله عليهن أجمعين.

## التفضيل بين الرسل

التفضيل بين الرسل هو أمر مقرر شرعا بقوله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. **البقرة 253.** وقال تعالى: ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض. **الإسراء 55.** ولكننا أهل السنة والجماعة لا نعلم أي الأنبياء عند الله أفضل من غيره؛ لا نعلم غير أن محمد بن عبد الله عليه السلام هو سيد ولد آدم؛ وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة؛ وأول شافع وأول مشفع؛ وأنه عليه السلام أمرنا أن لا نفضل بآرائنا وأقوالنا المجردة بين أنبياء الله تعالى؛ فقال صلى الله عليه وسلم: لا تفضلوا بين الأنبياء.

فالتفضيل على وجه الحمية والعصبية مذموم؛ كذلك التفضيل على وجه الفخر أو على وجه الانتقاص بالمفضول مذموم؛ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تفضلوني على موسى؛ حين تخاصم المسلم مع اليهودي الذي قال: لا والذي اصطفى موسى على البشر؛ فلطمه المسلم؛ وقال: أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا؟!! فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه؛ فقال النبي عليه السلام له هذا: لا تفضلوني على موسى.. أما قول الرسول: أنا سيد ولد آدم ولا فخر. فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خليل الرحمن؛ كما في قوله عليه السلام: إن الله اتخذني خليلا.

والخلة هي أعلى مراتب المحبة؛ واعلم أن وصف الله تعالى بالخلة هو على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته..

## الإيمان بوجود الجان ضرورة

ومن الإيمان بالله ورسله وكتبه الإيمان بوجود الجان؛ فلابد لأي مسلم أن يؤمن بالجن شركاء الإنس في الأرض إذ أن الكتاب والسنة النبوية الصحيحة تشهد بوجودهم في الكثير والكثير من المواضع؛ ويكفينا في هذا الصدد وجود سورة كاملة بإسمهم ألا وهي سورة الجن؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقت الملائكة من نور؛ وخلق الجان من مارج من نار؛ وخلق آدم مما وصف لكم.

والجان نوع من المخلوقات ذات أجسام وأرواح؛ كائنات عاقلة مدركة مريدة مكلفة على نحو ما عليه الإنسان؛ خلقوا من مادة أصلها مارج النار؛ وهو خالصه وأحسنه؛ وإن كانوا هم ليسوا نارا كما الإنسان ليس ترابا؛ وطبيعة خلقتهم لها ماهية لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا الله؛ مستترون عن الحواس في أًصل خلقتهم؛ ولهم قدرة على التشكل يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة؛ ومسيئهم في النار ومحسنهم في الجنة؛ وأجسام الجن قد تكون كثيفة وقد تكون رقيقة؛ ولعالم الجن قانونهم ونظامهم الذين يعيشون ويموتون ويتنقلون بموجبه وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة..

## خامسا: يوم القيامة

من عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله هو الإيمان بيوم البعث والحساب..

**قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية:** ومن الإيمان باليوم الآخر بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت؛ فيؤمنون بفتنة القبر؛ وبعذاب القبر ونعيمه.. إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد.. فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق؛ وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد: فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. **المؤمنون102-103.** وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.. ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن

فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة. أما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصي فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها.

وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلي من العسل آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر ومن يشرب منه شربة لم يظمأ أبدا.

والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار والذي يمر الناس عليه على قدر أعمالهم.. فمن مر على الصراط دخل الجنة. فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض؛ فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته..

وللإيمان بكل ما سبق بعض تفصيلات تخص النفس الإنسانية ورحلتها السرمدية من أول خلقها إلى رزقها ثم موتها ثم حياة الروح في عالم البرزخ ثم القول في فتنة القبر وعذابه ونعيمة ثم رد الأرواح مرة الأخرى يوم البعث، ثم رحلة ذلك اليوم والذي يبلغ خمسين ألف سنة ثم جنة أو نار إلى الأبد بلا نهاية..

كل ذلك سنشرحه بإذن الله تعالى من عقيدة أهل السنة والجماعة في السطور القادمة وبالله تعالى التوفيق..

## الروح مخلوق محدث

طالما أن كل ما في الكون مخلوق محدث؛ خلقه الله تعالى وأحدثه بعد أن لم يكن فالروح مخلوق محدث مصنوع؛ وهذا من الأمور المعلومة بالضرورة من الدين.. والروح نصف إنسان فالإنسان مركب من عنصرين أساسيين متباينين:

**العنصر الأول:** عنصر مادي أرضي وهو ذلك الظاهر من كينونة الإنسان أي الجسد.

**أما العنصر الثاني:** عنصر روحاني سماوي محرك للجسد؛ وهي النفخة الربانية المعجزة المخفية داخل الإنسان أي الروح..

أما النفس فإنها لفظ يطلق على الكائن الحي؛ والذي هو روح وجسد؛ وكل حي حتما ولزاما أن يكون روح وجسد؛ وقد تطلق النفس على الروح ولكن على سبيل المجاز لا التحقيق. فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور؛ وكذلك الروح فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة. فالنفس تطلق على الروح؛ ولكن غالبا ما تسمى نفسا إذا كانت متصلة بالبدن؛ وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها. والدليل على أن النفس هي الروح والجسد معا قوله تعالى: فسلموا على أنفسكم. **النور61.**

والنفس هاهنا الروح والجسد لا الروح وحدها. كذلك قوله تعالى: ولا تقتلوا أنفسكم. **النساء 29.** أما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس. فدل هذا على أن لفظة الروح ولفظة النفس لا يقوم بعضهما مقام الآخر في كل الأحوال إلا على سبيل المجاز فنطلق على

الـروح نفـس والـنفس روح؛ أمـا على سـبيل التحقيـق فلكل منهمـا معنى مغاير للآخر والله تعالى أعلى وأعلم..

## الروح لا تموت ولكن تتذوقه

الـروح لا تمـوت لأنهـا حيـة بطبعهـا لا تمـوت؛ ولكنهـا تتذوقـه فموتهـا هـو فراقهـا عـن الجسـد؛ فـالموت لا يقـع على البـدن وحـده ولا على الـروح وحدها؛ بل على الـنفس فقـط؛ ولهذا قـال تعـالى: كل نفـس ذائقـة المـوت. **الأنبياء35**. لا كل روح ولا كل جسـد بل كل نفـس ذائقـة المـوت. كذلـك قولـه تعـالى: كيـف تكفرون بـالله وكنـتم أمواتـا فـأحياكم ثـم يميتكم ثـم يحييكم. **البقـرة28**. أي: كنـتم أمواتـا أي أجسـاد بـلا أرواح وذلـك وهـم نطـف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم؛ فأحياكم بأن نفخ الـروح في الجسـد؛ ثم يميـتكم أي يفـرق بـين الـروح والجسـد؛ ثـم يحيـيكم برجـوع الـروح إلى الجسـد؛ فـدل هـذا على أن الـذي كان ميتـا ثـم أحي ثـم يمـوت ثـم يحي هي النفـوس لا الأجسـاد فقـط، ولا الأرواح فقـط بـل هي الـنفس المتكونـة من جـزء حي والآخـر ميـت أي الـروح والجسـد.. والـروح كـذلك لا تفـني أي لا تمـوت ولا تنطفيء؛ وهي بعـد خروجهـا مـن الجسـد لا تعـدم بـل تخـزن في مكان ما لحين عـودتها أو تركيبهـا مرة الأخرى في الجسـد؛ والله تعـالى أعلى وأعلم..

## الحياة البرزخية

البرزخ في اللغة معناه الحاجز أو الحجاب ومنه قوله تعالى: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا. الفرقان35. أي: والله هو الذي خلط البحرين؛ العذب السائغ الشراب والملح الشديد الملوحة؛ وجعل بينهما حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر، ومانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر. وكذلك البرزخ هو الحاجز بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة؛ فبخروج روح الإنسان من جسده تبدأ رحلة البرزخ أو الحياة البرزخية الوسطية بين الدنيا والآخرة، أو هو عالم الأموات الذي جاء فيها قوله تعالى: ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. **المؤمنون100.**

أي من وراء كل ميت برزخ إلى يوم القيامة أو يوم البعث..

فمن عبر ذلك البرزخ فلا يمكن له أن يعود مرة الأخرى إلى الوراء أي إلى عالم الحياة الدنيا إلا لو شاء الله تعالى وأعاده لحكمة ما أو آية معينة كما أحيا الله تعالى الموتى لنبيه عيسى عليه السلام أو كالمذكور في قوله تعالى: أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه. **البقرة 259.**

أو كالمذكورين في قوله تعالى: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم. **البقرة 243.**

والبرزخ هو العالم أو المكان الذي تخزن فيه الأرواح لحين اكتمال عددها إلى يوم البعث ومنه تخرج كل الأرواح كل روح إلى جسدها الذي سيقيمه

الله تعالى مرة الأخرى من بطن الأرض الحاملة لكل الناس الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها: ألم نجعل الأرض كفاتا أحياءا وأمواتا. المرسلات25-26. أي: ألم نجعل الأرض وعاء يحوي فيه الناس الأحياء والأموات.

والموت هو بوابة عالم البرزخ فلا يدخل إلى هذا العالم العجيب إلا من كان ميتا؛ ولا يخرج منه أحدا إلا بالبعث يوم البعث. لذا فمعلوماتنا عن هذا العالم محدودة بالنص الشرعي الصحيح لأنه لم يمت أحد ثم عاد إلينا ليحكي ما كان له في هذا العالم الفريد من نوعه الغامض والذي له قوانين محددة غير معروفة لنا وهي قوانين غير تلك القوانين التي نعرفها في الحياة الدنيا وغير القوانين التي ستسيطر علينا في العالم الأخروي والذي يبدأ من النفخ في الصور وإقامة الأموات من بين التراب. فلكل عالم من هاتيك العوالم الثلاثة قوانينه التي تحكم عليه وتتحكم فينا، ولا يمكن بحال قياس تلك العوالم على الآخر..

وعند الموت تنكشف الحقائق ويرى الإنسان أشياء كان لا يراها ولا يشعر بوجودها حال حياته الدنيا؛ فمثلا: الملائكة كانت من الأمور الغيبية التي كان يصدق بها الإنسان المؤمن دون أن يراها أو يعاينها؛ وعند الموت ينكشف الحجاب عن الإنسان فيرى تلك المخلوقات النورانية وذلك لأول مرة؛ سيرى كلا منا ملك الموت وهو قادم ليقبض تلك الروح الخفية من ذلك الجسد الظاهر؛ وليس ملك الموت من سيأتي وحده للقبض على تلك الروح وقبضها؛ بل سيأتي معه نوعين من

الملائكة؛ وذلك حسب نوعية تلك الروح فالأرواح نوعان عند الموت: الأولى مؤمنة والآخرة كافرة. الأولى سيأتي لها ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة؛ والأخيرة سيأتي لها مع ملك لموت ملائكة العذاب. ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم وضع خاص عند الموت دون بقية الأمم؛ فأمة محمد يمتد اختبارها لحين دخولها القبر؛ أما بقية الأمم فيحسم أمرها بوضعها الإيماني عند الموت.

## فتنة القبر

وقد اخترنا هذا العنوان فتنة القبر حتى لا نضيق الفكرة فنقول عذاب القبر؛ إذ أن في القبر عذاب ونعيم؛ والذي يمكن أن نقرره في هذا الباب أن فتنة القبر خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وبرهان ذلك قوله عليه السلام: إن هذه الأمة تبتلي في قبورها.. الحديث.

والمقصود بالأمة هي أمة محمد عليه السلام؛ فدل هذا على أن حساب القبر أو فتنة القبر هو ليس لكل الأمم بل هو مخصوص بتلك الأمة المحمدية فقط.. كذلك المتتبع لأحاديث القبر سيجد أن الميت سوف يسأل عن محمد عليه السلام؛ وماذا يقول في هذا الرجل فدل هذا على أن السؤال هو لأتباع محمد فقط لأن غيره من أهل الكتاب أو غيرهم قد بان أمرهم تجاه خاتم النبيين محمد بن عبد الله في فترة حياتهم الدنيا؛ أما المسلم فهو الأولى بهذا السؤال في القبر فيقال له ما قولك في

نبي الله محمد؟ فإن كان من المسلمين المحققين إسلامهم فلسوف يشهد من فوره أنه محمد هذا هو نبي الله ورسوله.

أما من قلد أو من لم يحقق إسلامه أو المنافق فلسوف يتتعتع في الكلام فيقول: ها؛ ها لا أدري..أما عذاب القبر فهو ليس بمخصوص بأمة معينة دون أمة الأخرى؛ بل هو لكل كفار الناس؛ ودليله قوله تعالى في جند فرعون: وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. **غافر45-46.**

وفي هذه الآية دليل على عذاب آل فرعون في القبور؛ إذ يقول تعالى: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. وهذا هو عذاب القبر لأنهم لم يذوقوا أو لم يعرضوا على النار في حياتهم الدنيا. ولم يدخلوا بعد نار الآخرة فلم يبقى إلا عذابهم في الحياة البرزخية.. كذلك لأنه تعالى يقول بعدها: ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. فصح قولنا من أن العذاب أو النار التي يعرضون عليها هي في فترة حياتهم البرزخية في قبورهم. حيث أن قبر كل إنسان هو مكان دفن جسده من الأرض، فكلل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر؛ أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا، ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر كل هؤلاء سيصلهم نصيبهم من العذاب ما يصل إلى المقبور..

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه؛ وكذلك سؤال الملكين فيجب الاعتقاد بذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس في قوانين العقل إمكانية الوقوف على

كيفيته لكون العقل لا عهد له بهذه الأمور في تلك الحياة الدنيا؛ والشرع لا يأتي بما يحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول.. فإن عودة الروح إلى الجسد في القبر لن يكون على النحو المعهود في الدنيا إذ لو كان الأمر كذلك لكان هذا بعثا والبعث قبل القيامة محال ولا يكون. ولكن تعاد الروح إلى الجسد إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا؛ أو أن الروح عند فتنة القبر تركب في الجسد بطريقة ما تمكنه من إدراك الفتنة والسؤال والشعور بالعذاب أو النعيم.. **قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية:** فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.. وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها؛ فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل؛ ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل؛ وأنه حق لا مرية فيه وبذلك يتميز المؤمنون من غيرهم؛ ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها.. ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا في حفرة من حفر النار؛ وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه؛ وقدرة الله أوسع من ذلك

وأعجب ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض من عباده أطلعه، وغيبه عن غيره؛ ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع.

والذي نميل إليه أن سؤال القبر وعذابه ونعيمه يمر على الإنسان كما يمر عليه الرؤية أو الحلم ولكن ليس هذا العذاب أو النعيم حلم بل حقيقة؛ فالإنسان لو حلم أن أحدهم يحرقه بالنار فلسوف يعذب تماما كما لو كان يحدث في إليقظة؛ وكذلك عذاب القبر وسؤاله هو عالم روحي تتحكم فيه الروح فقط؛ ولهذا نقول أن الميت عند قبره ترتد أو تركيب فيه الروح بطريقة مخصوصة بحيث أنه يمكن سؤال روحه وهي متعلقة بجسده عن حقيقة عقيدته، ثم إن ثبت حسن عقيدته فأنه يرى بشارات من نعيم الآخرة بأن يري نعيم الجنة في قبره وإن ثبت فساد عقيدته ثم فإنه يري بشارات من عذاب الآخرة بأن يرى عذاب النار في قبره. وكل هذا إنما يدور في عالم روحاني لا قبل لنا بملاحظته ولا مشاهدته تماما كما لا يمكننا الولوج إلى عالم الأحلام في الحياة الدنيا.. فلو كان أحدهم مقبور في قبر زجاجي راقدا أمام أعين كل الناس ما شاهد أحد من أهل الدنيا الأحياء هذا العذاب أو النعيم الذي فيه صاحب القبر؛ لذا فلا مجال لإثبات عذاب القبر إلا بالنص الشرعي

الصحيح الذي بين أيدينا من كتاب وسنة والواجب علينا تصديق وقوعه طالما أننا نؤمن بالغيب.

# يوم القيامة

من يؤمن بالله تعالى لايستبعد قط قدرة الله على اعادة انشاء العالم مرة الأخرى بعد فنائه. فالآخرة تصحيح للأوضاع وهي رد للاعتبار وتحقيق لعدل اختبر الله الناس بتأخيره إلى حين. والحديث في الإسلام تبعا لنظرة أهل السنة والجماعة يتناول مرحلتين:

**المرحلة الأولى:** مرحلة الدمار الذي ينزل بهذا العالم؛ والانهيار الفلكي الذي يمحو نظامه ويطفي نجومه. **قال محمد الغزالي رحمه الله:** ويظهر أن الهول الذي يصحب هذه الاضطرابات الشاملة يغمر الأفئدة بالفزع والرهبة فترى الناس سكارى وما هم بسكارى... ومجيء الساعة يكون بغتة والناس ماضون في أعمالهم العادية؛ الآكل يرفع اللقمة إلى فمه، والبنّاء يشيّد البيت الذي يبنيه، والتاجر يناول البائع السلعة التي يطلبها وهذا وذاك في جدالهم حول شئونهم ومستغرقون فيما يعنيهم؛ يقول تعالى: ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. وما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. يس**49-50.**

**أما المرحلة الثانية:** فهي مرحلة الحساب الذي يشمل الأولين والالأخرين، ويحشد أبناء آدم منذ بدءوا حتى انتهوا؛ ويستعرض أعمالهم منذ عقلوا حتى ماتوا. قيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله تعالى الناس على كثرتهم في يوم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم.. والذي نحسبه

نحن أن الزمان سوف ينعدم كما ينعدم الوزن عند رواد الفضاء وهل الخلود إلا انعدام الزمان؟!

## المعاد الجسماني

الذي عليه السلف والخلف من أمة الإسلام هي أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال؛ فتستحيل ترابا ثم ينشأها الله نشأة الأخرى؛ كما استحال في النشأة الأولى فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاما ولحما ثم أنشأه خلقا سويا. كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب إو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب.

**قال ابن أبي العزفي شرح العقيدة الطحاوية:** فعجب الذنب هو ما يبقى أما سائر الجسد فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها..

**وقال ابن حزم في الفصل:** وقد نص الله تعالى على أن العظام يعيدها ويحيها كما كانت أول مرة، وأما اللحم فإنما هو كسوة كما قال: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. **المؤمنون12**. إلى قوله: ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر. **المؤمنون14**. فأخبر عز وجل أن عنصر الإنسان إنما هو العظام الذي انتقلت عن السلالة التي من طين إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام وأن اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لأن اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقي منه لا قدر له

ثم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم.. كذلك نجد اللحم الذي في جسد الإنسان يتغذي به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان إذ ينقلب دودا فصح بنص القرآن العظام هي التي تحيا يوم القيامة ومن أنكر ما جاء به القرآن فلا حظ له في الإسلام.

والمسلم من أهل السنة والجماعة يؤمن في حياته الدنيا بأشياء كثيرة غيبية مثل وجود الله تعالى وهذا هو رأس الإيمان كله؛ وتوحيد الله تعالى قلب الإيمان وروحه؛ وفروعه الإيمان بالملائكة والجن والعرش والبعث بما فيه من قيامة وإقامة وحشر وضيق عرض وحساب ووزن الأعمال على الميزان والحوض والمرور فوق الصراط والشفاعة الكبرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في كل المخلوقات ليقيم عليهم الحساب والشفاعة الالأخرى المخصوصة بأمة محمد فقط دون بقية الأمم، وكذلك وجود الجنة والنار؛ وأن الجنة والنار موجودتان باقيتان لا تفنيان أبدا.. كل هذا وأكثر يؤمن به الإنسان المسلم عن طريق الغيب؛ ولكن عند حضور الموت ينكشف الحجاب ويرى كل إنسان ما آمن به أو كذب به حال حياته الدنيا؛ ذلك أن الموت هو أول عتبات الآخرة. وبعد سؤال القبر وعذابه أو نعيمه تكون الروح في مستقرها لحين اكتمال عددها من أرواح المؤمنين والكافرين؛ ثم توضع في ذلك الصور العملاق الذي يلتقمه الآن بالفعل الملك الموكل به أي إسرافيل؛ والصور عبارة عن قرن عملاق ينفخ فيه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى ظهره ينظر تجاه

العرش كأن عينيه كوكبان دريان لم يطرف قط مخافة أن يؤمر قبل ذلك.. وهذه هي النفخة الأولى وهي التي يصعق لها كل أصحاب الأرض الأحياء فتخرج كل روح من بدنها؛ فلا يبقي هناك من الأحياء أحد؛ وهذا معنى قوله تعالى: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. **الرحمن26-27**. فإذا ما تم هذا أمر الله تعالى الأرض أن تخرج ما ثقلت به من رفات وعظام وحبات تراب كل متوفي؛ فيرسل الله تعالى ماء يسمى بماء الحياة؛ فينبت الناس من الأرض كما ينبت النبات؛ حتى إذا ما أخرجت الأجساد واكتملت أرسل الله تعالى الأرواح المخزنة فتطير كل روح إلى بدن صاحبها؛ فيأمر الله تعالى صاحب الصور أن ينفخ فيه مرة الأخرى فإذا الناس قيام ينظرون؛ فعنى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه ينبت؛ ويرسل الله ماء الحياة فينبتون فيه نبات الخضر حتى إذا أخرجت الأجساد أرسل الله الأرواح وكان كل روح أسرع إلى صاحبه من الطرف، ثم ينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون.. ويحشر الناس ويحشر جيع الخلق: ذلك مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. **هود103**.

والنفخة الأولى هي الصاعقة: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه الأخرى فإذا هم قيام ينظرون. **الزمر68**.

فإذا ما قام الناس من القبور وحشر الإنس والجن والحيوان في صعيد واحد؛ وتنزلت الملائكة من السماوات العلى صفوفا وجاء ربك على عرشه

العظيم الذي تحمله ثمانية من الملائكة العظام: وجاء ربك والملك صفا صفا. **الفجر22.** ومجيئه سبحانه وتعالى لا نعلم فيه كيفية ولا نشبه ولا نمثل ولا نقول فيه بعلمنا؛ والله تعالى أعلى وأعلم..

وبعد هذا يبدأ الحساب والعرض على الملك الجبار؛ ووزن الأعمال؛ ويدخل النار من يدخل؛ والباقي يمر على الصراط إلى الجنة لتصل كل النفوس البشرية إلى مستقرها الأخير إما في جنة أو في نار .

## الجنة والنار مخلوقتان باقيتان

الجنة والنار كما قلنا مخلوقتان بالفعل موجودتان كما اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك من لدن رسول الله عليه السلام إلى يومنا هذا؛ ولم يخالف في هذا إلا فرق من المعتزلة الذين أنكروا وجودهما حإليا وقالوا: بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة. قالوا: خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنهما يصيران معطلتان مددا طويلة. فردوا النصوص الصحيحة الصريحة التي تؤكد أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان بالفعل فالنبي عليه الصلاة والسلام شاهد الجنة وما فيها والنار وما فيها يوم الإسراء والمعراج.. والله تعالى يقول: وسارعوا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. **آل عمران133.** فهذا دليل صريح في أن الجنة معدة من قبل للمتقين؛ فلو أنها غير مخلوقة لأتي الفعل بصيغة المستقبل ولقال: تعد أو ستعد للمتقين.. والدليل على وجود النار قوله تعالى: واتقوا النار التي أعدت للكافرين. **آل عمران131.**

كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا. فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف؛ فهو أشد ما تجدون من الحر؛ وأشد ما تجدون من الزمهرير.

والكثير والكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكد وجود النار والجنة؛ وأنهما بالفعل مخلوقتان وأن الله تعالى يزيد فيهما من الخلق ما يشاء لمن يشاء؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة.

تماما كما هي الأرض موجودة ويزداد فيها كل يوم بناء تلو البناء. كذلك أجمع أهل السنة على أن النار والجنة باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان. بلا نهاية بقوله تعالى: خالدين فيها مادامت السماوات والأرض. **هود108.** وقوله تعالى في غير موضع: خالدين فيها أبدا.. وقوله تعالى: لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى. **الدخان56.**

## سادسا: الإيمان بالقضاء والقدر

من عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هو الإيمان بالقدر خيره وشره كلا من عند الله تعالى.

فمن شروط الإيمان بالله أن يؤمن المسلم بالقضاء والقدر أي أن كل أمور كل الخلق حلوها ومرها خيرها وشرها قد قدرها الله تعالى وقضى بها على العباد؛ كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور حيث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإيمان والإحسان وفي سؤاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.. فقد سطر الله تعالى كل حركة وسكون لكافة مخلوقات الله تعالى جمعاء في اللوح المحفوظ، وذلك قبل أن يخلق الله الخلق ويخرجهم من اللاشيء والشيء إلى الوجود؛ قال تعالى: وخلق كل شيء فقدره تقديرا. **الفرقان2.** وقال تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر. **القمر49.**

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

**قال ابن تيمية:** تؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر؛ خيره وشره؛ والإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

**الدرجة الأولى:** الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم؛ الذي هو موصوف به أزلا؛ وعلم جميع أحوالهم من الطاعات

والمعاصي والأرزاق والآجال. ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق: فأول ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه؛ وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ جفت الأقلام وطويت الصحف. كما قال سبحانه وتعالى: ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير. **الحج70**.

وقال تعالى: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. **الحديد22**..

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا؛ فقد كتب في اللوح االمحفوظ ما شاء. وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات: فيقال له: اكتب رزقه؛ وأجله؛ وعمله؛ وشقي أو سعيد..

**وأما الدرجة الثانية:** فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأنه ما في السماوات والأرض وما بينهما من حركة ولا سكون لا يكون إلا بمشيئة الله سبحانه؛ ولا يكون في ملكه إلا ما يريد؛ وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات. فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولارب سواه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته. وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا

يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق إرادتهم؛ كما قال تعالى: لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين. **التكوير28-29**. وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية.

# العقيدة الثانية

العقيدة الثانية من أهل السنة والجماعة سلامة القلوب والألسنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته..

فصحابته عليه السلام هم خير الأصحاب لنبي؛ فما سمعنا بمثلهم قط في أمم من قبلنا؛ هم أوائل المدرسة المحمدية ولا أخذهم لدين الله تعالى والجهاد به وعليه لما وصل إلينا هذا الدين في بلدنا هذا في سنتنا هذه ولما انتشر الإسلام في كل جنبات المعمورة. فلهم علينا يد وفضل بعد الله ورسوله لذا وجب علينا تقديرهم قدرهم الحقيقي وتوقيرهم؛ فإن رب العالمين زكاهم وجعلهم خير القرون ورسوله صلى الله عليه وسلم زكاهم وقال عنهم: خير الصحبة لنبي.

كذلك القول في أهل بيت النبي عليهم السلام؛ ولا ننسي قوله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

فوجب علينا نحن معشر المسلمين أن تسلم قلوبنا وألسنتنا من أي غل أو أذى قبلهم..

كما أنهم أهل العلم والاجتهاد والإجماع هو كبار علماء الأمة المحمدية جمعاء بلا منازع؛ فإذا ما أخطأ أحدهم فله أجر؛ وإن أصاب فله أجران. ومن أخطأ بلا اجتهاد فهو بشر يصيب ويخطأ والله تعالى يتقبل التوبة من عباده ولهم عند الله تعالى من الأجر العظيم وأحقية خاتم النبيين ما يكفر عنهم أي ذنب أو خطأ..

ورغم ذلك لا نحكم على أحدهم بأن له الجنة إلا من حكم الله تعالى له بذلك وبلغ به رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه هي العقيدة الثانية الأساسية من عقائد أهل السنة والجماعة.

**قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية:** ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى: والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. **الحشر10.**

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهب مالا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه..

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع؛ من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل.

ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر-: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة..

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة؛ كالعشرة؛ وكثابت بن قيس بن شماس؛ وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم..

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خُمّ: أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وقال أيضا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بنو هاشم؛ فقال: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحبوكم لله ولقرابتي.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية..

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة... وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من

الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات  ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ماليس لمن بعدهم؛ وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم..

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء؛ لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى.

# العقيدة الثالثة

العقيدة الثالثة من عقيدة أهل السنة والجماعة هي عقيدة الأخلاق والإتباع في العبادات.

## أولا: الأخلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الناس لم يعطوا خير من الخلق الحسن؛ فإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء. وحسن الخلق هو دين الإسلام، كذلك هو خير دعوة لدين الإسلام؛ فإن الناس آمن منهم الكثير والكثير ودخل إلى دين الإسلام عندما شاهدوا من المسلمين من حسن الخلق ما لم يشاهدوا من غيرهم؛ فدخلوا في دين الله تعالى تترا لا لشيء إلا لتحلي المسلمين الأوائل بحسن الخلق والأمانة والصدق في كل أمرهم.. حتى أن رب العالمين زكى رسول الله عليه السلام فقال: وإنك لعلى خلق عظيم. **القلم4**. وقال له: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. **آل عمران159**.. فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده. أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن زاد إيمانه زاد خلقه والعكس صحيح..

## ثانيا: الاتباع في العبادات

المسلم ينقاد في جميع أمره لما قضى به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ودين المسلم من أهل السنة والجماعة هو الاتباع لما جاءه من الله ورسوله لا الابتداع فقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من محدثات الأمور في الدين..

فنحن أهل السنة والجماعة لا نبتدع ديننا بل نتبع في ديننا ما جاءنا عن الله تعالى ورسوله وما استقر عليه صحابة رسول الله من فهم لدين الله وعمل به؛ فأصدق الكلام عندهم كلام الله؛ وأن خير الهدي هدي رسوله؛ وكلام الله ورسوله مقدم عندهم على أي كلام وقول؛ ولهذا سماهم الناس أهل الكتاب والسنة..

والإسلام دين مكتمل لا يقبل الزيادة أو النقصان فهو بالحق دين مكتمل وما كمل لا يقبل الزيادة فيه أو النقصان منه؛ بنص قوله تعالى: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم}المائدة3.. فالدين كمل وتم بوفاة المبلغ بالوحي صلى الله عليه وسلم؛ وحين مات عليه السلام كان الدين قد بلغ وقد بان بيان لا لبس فيه ولا اختلاط ولا سر؛ فلا سر في دين الإسلام؛ وكذب وأثم من قال في الناس أن لديه علم من دين الله تعلى ليس عند غيره..

## كل محدثة بدعة

قلنـا وأكـدنا أن الـدين قـد كمـل ومـا كمـل لا يمكـن الزيـادة فيـه أو النقصان؛ بل ويعتبر الزيادة فيه أمر محدث؛ لهذا قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث صريح صحيح أن كل محدثة في أمر هذا الدين بدعة بل وضلالة؛ وأكد أن كل بدعة في الدين مآلها ومآل محدثها النار؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أو كان يقول في خطبته: إن خير الحديث كتاب الله؛ وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وشر الأمور محدثاتها؛ وكل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة؛ وكل ضلالة في النار..

وهذا من أكبر الأدلة على أن الشريعة الإسلامية كاملة مكتملة؛ لا وجه للزيادة فيها أو النقصان منها؛ فبموت المبلغ للوحي عليه السلام اكتمل الشرع لأن التشريع لا يكون إلا بوحي؛ ومتلقي الوحي مات وانتقل إلى الرفيق الأعلى؛ فكيف بعدد موته عليه السلام يكون هناك وحي وحيث لا وحي لا شرع.. وقد أوّل بعض ضعاف العلم سخاف العقول هذا الحديث عن موضعه؛ فاعتبر هؤلاء -دعاة التخلف والظلام والجهل- أن المحدثات والبدع لا تقتصر على ما في الدين من أحكام بل يتسع ليشمل ما في الدنيا من أشياء فاعتبروا أن كل ما يكون في الدنيا من تطور علمي وتكنولوجي هو محدثة وبدعة ومآلها إلى النار وبئس المصير؛ رغم أن الحديث راويه وروايته والمروي عليهم لم يتطرقوا إلى هذا أبدا؛ فالحديث

عن الدين والبدعة المنهي عنها هي البدعة في الدين؛ لأنها تشريع ممن ليس له حق التشريع؛ لذا فهي مرفوضة وباطلة..

## الحرام والحلال

في الإسلام هناك قاعدة أصلية هامة لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها بحال؛ هذه القاعدة هي أن الأصل في الأشياء الإباحة؛ فكل ما في الأرض هو حلال مباح للإنسان؛ قد خلقه الله للإنسان بنص قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً}البقرة29. هذه هي القاعدة؛ أما الاستثنناء فهو أن الله تعالى قد حرم بعض الأشياء على الناس؛ أصناف من الأطعمة والأشربة والأفعال والأقوال؛ بنص حرم عليهم هذ؛ وما لا نص فيه فهو حلال مباح على فاعله أكله أو شربه أو فعله أو قوله.. فلا مجال لأحد أن يحرم على الناس أي شيء إلا بنص قوله تعالى أو بنص صحيح ينسب إلى رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وإلا لكان آثم مجرم؛ نسب إلى الله تعالى ما لم يقوله؛ وضل عن سبيل الله وأضل الناس وأبعدهم عن دين الله تعالى الذي لا يناله الباطل من بين يديه أو من خلفه؛ والله تعالى القائل: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} **الأعراف32..**

فما حال هذا الذي يحرم على الناس ما لم يحرمه الله تعالى على عباده وهو واقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة وسيحاسبه الله على ما فعل فيقول له: أنت حرمت هذا على عبادي فمن أين أتيت بهذا التحريم؟

فإما أن يكون الله تعالى حرمه أو لا يكون قد حرمه.. فإن كان حرمه فلابد من نص وإلا من أين أتي بهذا التحريم؟! وإن كان الله تعالى لم يكن قد حرمه فلماذا تجرأت على الله وادعيت كذبا أنه قد حرمه وهو لم يحرمه؟!! إذا القائل بتحريم أي أمر من أمور الحياة الدنيا يكون مدعيا؛ والمدعي هو المطالب بالدليل؛ فإن لم يكن هناك من دليل فهو كاذب مدعي؛ والله تعالى يقول: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.. فمن لم يأت بدليله فهو كاذب أشر..

**قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية:** ثم من طريقة أهل السنة والجماعة إتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وإتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة ضلالة..

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد؛ وبهذا سموا: أهل الكتاب والسنة..

وسموا بأهل الجماعة لأن الجماعة هي الإجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين؛ والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين..

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين؛ والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة..

وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة في حديث عنه أنه قال عليه السلام: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي. صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون؛ ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم. وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين؛ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة.

**وفي الختام نقول:** ويأبى الله تعالى الكمال لكتاب إلا لكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه؛ ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين..

**تم**

# فهرس كتاب المسلم